((الشياطين وأثرهم في بلاد الرافدين))

المدرس الدكتور
غيث سليم فرحان
جامعة القادسية - كلية الاداب

ألخلاصة :

وقف الانسان في العصور القديمة أمام قوى غامضة خفية أعتقد أنها تدير له أقداره التي تكيل له من الغد المجهول كيلا متقلبا فتارة سعادة وتارة أخرى شقاء ومعانات ، ويقف أحيانا خاضعا مترقبا وأحيانا اخرى متبلدا غير مكترث حيث كافح الانسان هذه القوى غير المنظورة بروح عالية ومعنوية فذة وعين مفتوحة ، وأخذ يبحث ويفتش بانتباه دؤوب عن جميع الظواهر المحيطة به عسى ان تعينه في معرفة مقاصد هذه القوى الخفية ، وبسبب أيمانه المطلق بأن كل ما يشذ عن مجريات الحوادث المألوفة أو يختلف عن الشكل المعروف للأشياء يغدو له بمثابة تحذير ، وعلامة إنذار وقلق فقد تمثل ذلك بالشياطين التي لعبت دورا بارزا في مجرى الأحداث اليومية لبلاد الرافدين ، اذ وصفهم الله (عزة وجل) في كتابه الكريم(بسم الله الرحمن الرحيم واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولاكن الشياطين كفروا يعلمون السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت صدق الله العلي العظيم)(١)

وتكون البحث من أربعة محاور رئيسة كان أبرزها المحور الأول لشموله المسميات اللغوية للشياطين في العراق القديم ، أما المحور الثاني : الشياطين المنحدرة من أصل سماوي اما المحور الثالث فقد وضفة لشياطين العالم السفلي ،اما المحور الرابع فقد خصصه للشياطين الذين تكون صفاتهم كهيئة البشر ، ويعد هذا النوع من الشياطين من أخطر أنواع الشياطين التي تعترض الإنسان العراقي القديم خلال تلك العصور .

تمهيد :

ان تأمل الانسان في هذا الكون غير المتناهي جعله يشعر بأنه محاط من كل جانب بقوة ساحقة وشريرة تكون مستقلة عن ارادة البشر يخضع الجميع لتأثيرها ، ولا مقدرة لهم على تحويل سيرها او تعديل نظامها نحو البشر لذلك فقد استحوذت هذه القوى الخارقة على الانسان وأثرت فيه ، فأصبح يفكر بكل ما يتعلق بها ، وقد عمل جاهدا لمعرفة تلك القوى ومن ثم أخذ يحاول بكل قواه أن يبدل هذا الشعور الغامض بفكرة واضحة وبتصور محدد حتى يتسنى له كيفية التعامل معها في ميادين الحياة ومناحيها جميعا .

ولعل تلك القوى الشريرة قد تمثلت بالشياطين التي تعد من ألد أعداء الانسان العراقي القديم ، فهي تؤثر بشكل كبير على صحته وسلوكه وما يترتب عليه من أضرار نفسيه وجسدية وقد تؤدي في بعض الأحيان الى موته .

ويتطلب هذا الأمر اجراء الطقوس والتعاويذ لطرد تلك الأرواح الشريرة و من خلال الطقوس والعزم للتخلص من تلك الشياطين بالاعتماد على الكهنة المتمرسين الذين ساهموا في قراءة (الارتسامات) على أكباد النذور ، أو تحريك بقع الزيت على الماء ، أو تشكيلات دخان العطور في الهواء وكذلك تفسير الأحلام والرؤى.

لذلك وجد الباحث أن من الضروري جدا تسليط الضوء على هذا الجانب ببحث موسوم (الشياطين وأثرهم في بلاد الرافدين) وقد جاء هذا البحث موزعا على أربعة محاور يتقدمها تمهيد وتشفعها خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل اليها الباحث . المحور الاول بعنوان الشياطين في النصوص المسمارية ، أما المحور الثاني : الشياطين المنحدرة من أصل سماوي ، و هم من اعتبروا كآلهة لأنها ولدت في السماء بحسب الفكر الديني في العراق ألقديم و انهم اتسموا بالطبيعة الشريرة والعدوانية .

اما المحور الثالث فقد وضفة لشياطين العالم السفلي ، وهم على أنواع عدة اذ لهم القدرة على الحاق الأذى بأرواح الموتى الموجودة في العالم السفلي وبقية الكائنات .

اما المحور الرابع فقد خصصه للشياطين الذين تكون صفاتهم كهيئة البشر اذ يعد هذا النوع من الشياطين من اخطر انواع الشياطين التي تهدد سكان بلاد الرافدين ، فهي تؤثر بشكل كبير على صحة الإنسان وسلوكه وما يترتب أو يلحق ذلك من أضرار عليه من اضرار نفسية ، وجسدية وقد تؤدي في بعض الاحيان الى موته ، ويتطلب هذا الأمر اجراء الطقوس والتعويذات لطرد تلك الأرواح الشريرة ويتم ذلك من خلال العزم للتخلص من تلك الشياطين ... والله الموفق.

الباحث

المحور الاول : **الشياطين في النصوص المسمارية** :

تعد الكتابة المسمارية اقدم كتابة استعملت طوال العهود القديمة في بلدان الشرق الأدنى القديم ، ويأتي اسمها من شكل العلامات التي ظهرت في النصوص التي تعرف اليها المستشرقون الأوائل وهي تشبه في شكلها ألمسمار مما اسهم في معرفة الكثير من النصوص والعلامات وكذلك المعلومات ضمن المدة التي عاصرتها تلك النصوص(٢)

فقد ترد الشياطين في النصوص المسمارية بمسميات مختلفة ، وأبرزها الشياطين المؤذية اذ ترد في اللغة الأكدية (alu) ويقابلها في اللغة السومرية (A.LA) (٣)

وقد يرد اسم الشيطان في النصوص السومرية بصيغة الشياطين الشريرة اذ ترد (asakku) ويقابها في اللغة السومرية (A.pA) AZAG(٤)

وهنالك صنف من الشياطين تأتي الى الانسان على شكل مرض اذ ترد في النصوص المسمارية بصيغة باللغة الأكدية bibitu ويقابها باللغة السومرية :

(٥) ^{d}DIM.TAB

وهنالك شياطين ترد في النصوص المسمارية بصيغة :utukkum ويقابلها باللغة السومرية : UDUG (٦)

المحور الثاني : الشياطين المنحدرة من أصل سماوي :

لقد احتلت الأفكار والمعتقدات الدينية منزلة مميزة في بحوث أغلب المفكرين والمشتغلين بالعلوم الاجتماعية اذ قدموا دراسات في جوهر الدين وقد تكلموا فيها على مراحله جميعا ومظاهره كذلك محاولين ابراز مدى تأثيره في المجتمع ، ومهما اختلفت الديانات وتباينت يمكننا القول بصورة عامة أنها تفترض وجود قوة ، أو قوى عليا في الكون يسعى الإنسان دائما للتقرب اليها من خلال عبادات وطقوس معينة تقام في أماكن مخصصة لتلك العبادات (٧) ، ولعل الشياطين المنحدرة من أصل سماوي هم من عدوا كالإلهة اذ يعتقد السكان انذاك بإلوهيتهم لأنها ولدت في السماء وأنهم اتسموا بالطبيعة الشريرة والعدوانية ، وقد استخدمهم الاله السماوي (انو) (٨) ، لتنفيذ أوامره وأحكامه لذلك تصفهم المصادر بأنهم من ذرية الاله العظيم(انو) كما في النص الاتي :

هم الذين في قاعدة السماء يسطعون مثل البرق
في كل صوب هم يرتكبون جرائم قتل ، ودائما هم
في الطليعة في سماء الملك انو الواسعة
هم هنا بشكل أشرار لا منافس لهم (٩)

ولعل بعض الشياطين تكون هيأتهم كهيأة رسل الالهة الى السكان بلاد الرافدين تنفذ بعض المهام والأعمال ، وقد تشكل مصدر ازعاج وعدم طمأنينة للناس ، كما ورد في النص الاتي :

الالهة الاشرار(الشياطين) رسل انو
هم سند الشر يضربون الارض بأرجلهم في كل صوب
هم في كل مكان وزمان يبحثون عن الشر
من كبد السماء – كالرياح - هبوا على البلاد (١٠)

وبعض المصادر تصفهم ب(الالهة الشريرة) فيكونون على هيأة الشياطين ولدوا في السماء ويقومون بأعمال شريرة ، ولا يفكرون إلا بالأذى للسكان ، ويكونون على استعداد تام لارتكاب أنواع الجرائم ضد البشرية ، كما في النص الاتي :

هم كالعواصف القوية ، الالهة الشريرة

ولدوا في السماء ، هم رسل الشقاء

هم سنة الشر الذين لا يفكرون الا بالأذى

هم مستعدون لارتكاب جرائم القتل(١١)

وقد يعرف هذا النوع من الشياطين ب (العنان) حسب ما ورد في النصوص المسمارية ، وكانت أعماله الشريرة الغير مرغوب بها من قبل السكان ، والإلهة تظهر دون علم الاله (انو) في بعض الأحيان ومن دون رضاه أيضا ، لذلك كان العراقيون القدماء يقومون بالتراتيل والتعويذات ويحملون غصن النخيل حتى لا يمسهم شر هذه الشيطان:

((ليأخذ انو العظيم بيدي ، قد أحمل بيدي

غصن النخيل رمز السلطة الكبيرة ليبعد

الشيطان عني لا يقسمون أمامي ولا

يذهبون ورائي ، اذا مسكت به عند العتبة

لا يتقدم أكثر حيث أمكث لا تمكث أنت

حيث أجلس لا تجلس أنت، حيث أذهب

لا تذهب أنت أستحلفك بالسماء والأرض ..)(١٢)

وقد يعزا لهذا النوع من الشياطين خسوف القمر فتحجب الظلمات قرص القمر المضيء وتحل العتمة والظلمة ، والوحشة مما يثير القلق لدى سكان بلاد الرافدين اذ تشير احدى التراتيل الدينية الى ان الاهة الشر السبعة وهي الشياطين المختصة عن خسوف القمر اجتاحت البلاد كالإعصار وهاجمت البلاد كالزوبعة :

((اخترقت الهة الشر السبعة قبة السماء وتجمعت غاضبة حول هلال الاله القمر .... فأصبح مظلما في الليل والنهار – ولم يجلس على عرش سلطانه ... فرأى انليل ظلام البطل سن (اله القمر) في السماء فدعي السيد (انليل) ووزيره نسكو (اله النار) : أيها الوزير نسكو اذهب بالخير الى الأبيس كرر الخبر على ايا في الابيس وقل ان ابني سن الذي حجب بحزن في السماء ... وسمع ايا في الابيس هذه الرسالة وعض على شفتيه وامتلأ فمه بالعويل ودعا ايا ابن مردوخ ، وبعث برسالة له اشارة فيها: اذهب ابني مردوخ ...)) (١٣)

لعل النص السابق قد سلط الضوء على وجود سبعة شياطين مختصة بإنزال الكوارث وحالات الطبيعة كخسوف القمر وغيرها التي كان يعتقد أنها من أفعال الشياطين السبعة ، وقد ورد في أحد النصوص المسمارية أسماء تلك الشياطين وأهم الأعمال التي كانوا يقومون بها :

((منهم سبعة : الأول : هو المنشق ريح الجنوب
الثاني : تنين مفتوح الشدقين
الثالث : نمر غاضب كالوحش الضاري الذي خطف صغاره
الرابع : هو ثعبان هائل
الخامس : هو اسد هائج لا سبيل لتراجعه
السادس : هو حمل يهاجم حتى الاله والملك
السابع : عاصفة ورياح شريرة)) (١٤)

اذ تشير النصوص المسمارية الى أن هؤلاء السبعة هم مبعوثي الاله (انو) الى أهل الأرض ، ولكن عند قيامهم بأي شيء يؤثر على السكان كان الاله (انو) يرسل اليهم من يقوم بملاحقتهم والقصاص منهم ، كما في النص الأتي :

((وجميع الشياطين السبعة هم مبعوثون من قبل اله انو
وهم يجلبون الظلمة لمدينة وأخرى
هم كالزوبعة التي تجوب السماء بغضب

هم كالغيوم الكثيفة التي تجلب العتمة للسماء
هم هبوب الريح العاصف الذي يجلب الظلمة في الأيام المنيرة
هم الذين يضربون مع الهواء الأهوج – الرياح العاتية
هم طوفان (أدد) القوية
هم الذين يسيرون الى يمين (أدد))(١٥)

وهنالك وصف أخر في احدى التعويذات لهؤلاء السبعة بأنهم يقفون في الطرق ويلوثونها وينشرون الشر في كل مكان ، وقد تسلط هذه التعويذة الضوء عن نصبهم العداء الى الاله (ايا) (١٦) العمل بسوء ضد هذا الاله وفي النص الاتي ما يفسر بعض الأوصاف التي تخصهم :

انهم ليسوا ذكورا ولا اناثا
انهم الرياح الهابة المهلكة
ليس لهم زوجات ولا ذرية
ولا يستجيبون لتضرع ولا لدعاء
انهم كالخيول الجامحة في الجبال يناصبون الاله
ايا العداء
انهم حاملو عرش الاله
يقفون في الطرق ويلوثونها
انهم شر وكل الشر
انهم سبعة وسبعة
انهم سبعة مضاعفة (١٧)

وتصف تعويذة أخرى قدراتهم على الأنسلال من بيت الى بيت كالأفاعي لا يمنعهم باب ولا أحد يستطيع صدهم ، قد يدخلوا البيت على شكل افاع أو على هيأة ريح يخطفون وينشرون الخراب ، والفساد في البيت ، ولا يستطيع صدهم سواء الصلوات والدعوات والنص الاتي دليل على ذلك:

((يمرقون من بيت الى بيت
لا يمنعهم باب ، ولا يصدهم مزلاج
منهم ينسلون عبر الباب انسلال الأفاعي
ويمرقون من فتحته كالرياح
ينتزعون الزوجة من حضن زوجها
ويخطفون الطفل من على ركبة أبيه
ويأخذون الرجل من عائلته)) (١٨)

وفي أسطورة (أدبا) يظهر الاله (انو) وهو في حالة امتعاض من تلك الشياطين فيستفسر عن الشيطان الأول (الرياح الجنوبية) فيخبره وزيره(ايلبارت) أن الرجل الحكيم (أدبا) كسر له جناحيه على الأعمال التي يقوم بها :

((خذوه وردوه الى الأرض ... واقطعوا جناح الرياح الجنوبية...)) (١٩)

يتضح من خلال هذا النص أن الالهة كانت توجه العديد من العقوبات ، والشتم على الشياطين التي تعمل على أذية البشر ، أو أي كائن اخر وقد يصل الأمر الى كسر جناح الشيطان ، أو قدميه او حتى قتله .

المحور الثالث : **شياطين العالم السفلي** :

لقد احتلت ظاهرة الموت حيزا مهما وكبيرا في تاريخ الفكر الديني عند الإنسان القديم ، وذلك لما يحدثه الموت من تأثير في مشاعر الفرد وشعوره في التفكير والتأمل ، لذا فقد اعتقد الانسان العراقي القديم أن حقيقة الموت قبل أن يفكر في الطريقة التي يحدث فيها وهذا الذي دفعه لأن يرجع سبب الموت الطبيعي في تفسيره له الى هجوم قوى خفية غير مرئية .

اذ بينت لنا النصوص المسمارية أن الأرض تقسم على ثلاثة أقسام : الأرض العليا التي يسكنها بنو البشر ، والأرض الوسطى التي عدت مقام الاله انكي ، و الأرض السفلى وهي العالم السفلي أو عالم الأموات (٢٠) ويتسم هذا العالم بالظلام الذي يخيم عليه ، فمن دخله يحجب عنه النور وتشير الاساطير الى وجود

سبعة ابواب تحيط بهذا العالم اذ يقع خلف الأسوار السبعة قصر يعود الى ملكة العالم السفلي الذي يعرف ب(قصر العدالة) (٢١)

اذ كان يعتقد سكان بلاد الرافدين بأن هنالك سلم خاص يصل ما بين العالم السماوي والعالم الأسفل تستخدمه الالهة عند نزولها ، أو صعودها منه واليه ، وتحكم هذا العالم الالهة ايرشيكيكال (٢٢) ويساعدها في حكم هذا العالم زوجها نركال (٢٣)

لعل من أشد ما لا قياه هذين الالهين من شر الشياطين ومكرهم كان كبيرا اذ قام أحد شياطين العالم السفلي ، وهو(كور) بخطف الالهة (ايرشيكيكال) وزوجها (نركال) بالقوة والذهاب بهما الى العالم السفلي وتعذيبهما مما دفع الاله انكي الى انقاذهما من هذا الشيطان والقيام بقتله من قبل انكي (٢٤) والنص الأتي يشير الى ذلك :

((الأرواح الشريرة (كور) قد فتح شباكه لكي يصطاد ايرشيكال
ونركال في يوم مشؤوم ...)) (٢٥)

من خلال هذا النص يتضح أن الشياطين كانت تؤثر كثيرا حتى على الالهة نفسها لذلك فقد أصبحت منبوذة من قبل الجميع في العراق القديم .

وهنالك أسطورة تعرف ب(رواية تل العمارنة) فقد تناولت هذه الأسطورة حادثة اثارة الالهة (ايرشكيكال) عندما بعثة رسولها الى (نركال) لكن الأخير لم يحترم رسولها ، ولم يقف له على الرغم من كونه ممثل الهة العالم السفلي ، وقد أثارت هذا الامر حفيظة الالهة (ايرشكيكال) وقررت الانتقام من الاله (نركال) وطلبت منه أن يمثل أمامها ، وقد نزل (نركال) الى العالم السفلي بعد أن زوده الاله (ايا) بمجموعة من الشياطين لمقاومة (ايرشيكيكال) ، وقد سعت تلك الشياطين الى قتل الالهة (ايرشيكيكال) تضرعت الى الاله (نركال) وتوسلت طالبة الرحمة وعرضت عليه يدها وعرشها ، فقبل ذلك وتم زواجهما اذ أصبح (نركال) شريكا لها في حكم العالم السفلي ، كما في النص الأتي :

((طلبت ايرشيكيكال من وزيرها نمتار أن يصعد
صعد نمتار الى السماء العلا
عندما دخل نمتار نهضت الالهة
(.....) سلموا على نمتار
وزير شقيقهم العظيمة
و..... اذ رأه يقترب
(.....) الهة العلا
(حصة) سيدته من غذاء الهة
لكنه رفض (؟) فبكى وانتحب
(وسلك) طريق البلد الذي لا عوده منه
اذهب (وقل) (لأختهم) كالآتي :
الاله الذي لم ينهض أمام مبعوثي
لأجل موته أجلبه الى هنا : أريد أن أقتله
نمتار ذهب الى الالهة
والإلهة استعدوا ليكلموه عن هذه الميتة
اذا رأيت (قالوا له) الاله الذي يقف أمامك
أجلبه لكي يحضر امام ملكتك
فاحصاهم (نمتار) فوجد الأله الأخير كان أصلعا
ليس هنا الاله الذي لم يقف أمامي
فذهب (نمتار) قدم تقرير وقال :
يا سيدتي شاهدت الالهة وعددتهم
بينهم كان الالهة الاخير أصلعا
وهو ليس الذي يقف أمامي
فنطقت ايرشيكيكال

وأحضرت الشياطين لقتاله (٢٦)

يتضح من خلال النص المتعلق ب(رواية تل العمارنة) ان الأمور المتعلقة بالقوة والشدة في العالم السفلي كانت تناط بالشياطين وكل بحسب المهام التي يقوم بها ، لذلك كانت الشياطين بالنسبة لسكان بلاد الرافدين مصدر قلق .

فضلا عن ذلك فقد تناط الى شياطين العالم السفلي مهمة أخرى هي حراسة الأبواب السبعة التي من خلالها يمكن الدخول والخروج من ذلك العالم ، فقد كانت تلك الشياطين تمنع الناس والآلهة من الخروج من تلك الأبواب السبعة ، وفي الوقت نفسه فقد كانت تقبض على الأشخاص الذين يدخلون لذلك العالم ، وتتعامل معهم بالشدة والبأس كما في النص الأتي :

((عند دخول العالم السفلي
تدخل الرهبة في القلوب
..... فعند الباب الثالث يكون (بو)
وعند الباب الرابع مونابرك
وعند الباب الخامس (شار بدو)
وعند الباب السادس (رايشو)
وعند الباب السابع (تبريد) ....)) (٢٧)

وفي أحد النصوص المسمارية التي تتعلق بالعالم السفلي تظهر الشياطين ، وهي تلاحق الالهة (ايرشيكيكال) وتقوم بقتلها ، والاعتداء عليها بشكل همجي ، ووحشي كما في النص الأتي :

((هذا أنا الذي أركض الان وراءكم
في داخل المسكن ، أمسك باريرشيكيكال
من شعرها والى الأسفل أحناها
نحو الأرض ، ليقطع رأسها
لا تقتلني .....)) (٢٨)

وقد كشفت الرواية السومرية المعروفة ب(نزول انانا الى العالم السفلي) أن الالهة (أنانا) عندما نزلت الى العالم السفلي كانت برفقة أحد الشياطين المعروف ب(كالا) (وهو صنف صغير من شياطين العالم السفلي) والحقيقة أن الرواية السومرية للأسطورة لا تبين لنا السبب الذي رافقت تلك الشياطين الالهة (انانا) من أجله ، إلا أنه من المرجح أنهم رافقوها ليجلبوا بديلا عنها الى العالم السفلي (٢٩)

واستمرت (أنانا) مع شياطين العالم السفلي في البحث عن بديل عنها في ذلك العالم إلا انها استطاعت اقناعهم بعدم أخذ البديل عنها وتركها في مدينة أوما (٣٠) ، وهنالك تكرر المشهد نفسه مع (شار) اله المدينة الرئيس وابن أنانا ، اذ أظهر هذا الاله علامات الحزن ، وبرهن على اخلاصه لها وكان نتيجة ذلك أن قامت (أنانا) بإقناع الشياطين بأن لا يجعلوه بديلا عنها (٣١) كما في النص الأتي :

((الذين رافقوا انانا

هم الذين لا يعرفون الطعام وهم الذين لا يعرفون الماء

هم الذين لا يأكلون الدقيق المنخول

وهم الذين لا يشربون الماء المسكوب

هم الذين يسلبون الزوجة من حضن زوجها

هم الذين يسلبون الطفل من حاضنته)) (٣٢)

وهنالك مشهد أخر يظهر مدى البشاعة التي يحملها الشياطين ضد الاله (دموزي) ، فقيدوه وانهالوا عليه بالضرب المبرح ، وأذاقوه صنوفا من العذاب وهم يستعدون للنزول به الى العالم السفلي ، وقد شعر هذا الاله بعجزه عن مقاومة أولئك الشياطين القساة كما في النص المسماري الأتي:

((أيها الاله أوتو أنا صديقك ، انا الفتى الذي تعرف

لقد اتخذت من أختك زوجا لي

ولكنها نزلت الى العالم الأسفل

ثم سلمتني الى العالم الاسفل بديلا عنها

أيها الاله أوتو ، ايها الحاكم العادل ، لا تدعهم يأخذونني
أيها الاله أوتو ، ايها الحاكم العادل ، لا تدعهم يأخذونني
حور يدي وامسخ هيئتي
خلصني من قبضة الشياطين ولا تدعهم يمسكونني
وسأنسل عبر المروج مثل أفعى ساككال
لألوذ ببيت أختي الالهة كشتن-أنا)) (٣٣)

وقد تبين لنا الاساطير السومرية أن شياطين العالم السفلي كانت تحمل بيدها ألسكاكين ، والآلات الحادة قد استخدموها بكل وحشية وقسوة وعنف بكل وحشية وعنف ضد اله (دموزي) مما ادى ذلك الضرب الى موته نتيجة تلك الاساليب الشيطانية ، ونلحظ هذا المعنى في النص الأتي :

((لما دخل الكالا الأول الى الحظيرة
ضربه بدبوس حاد على خده
ولما دخل الكالا الثاني الى الحظيرة
ضربه بمحجن الراعي على خده
ولما دخل الكالا الثالث الى الحظيرة
أزاح مسند الركوة المقدسة
ولما دخل الكالا الرابع الى الحظيرة
أسقط القدح المعلق على الوتد
ولما دخل الكالا الخامس الى الحظيرة
أفرغ الركوة من اللبن الذي تصبه
أسقط القدح لن يعيش دموزي بعد الان
وأصبحت الحظيرة عرضة للريح . لقد مات دموزي))(٣٤)

وفي أسطورة (الخليقة الكوثية) حدثت حرب ضارية بين الملك الأكدي (نرام سين)(٣٥) وبين جيش من شياطين العالم السفلي اذ كانت تصفهم هذه الأسطورة بأشكال وأجسام مركبة ورؤوس كالطيور ، وقد استمرت الحرب ثلاث سنوات تعرضت فيها جيوش الملك للإبادة التامة ، و أخيرا تمكن(نرام سين) من القضاء على تلك الشياطين وتخليص بلادهم من شرورهم (٣٦)

المحور الرابع : **الشياطين التي على هيأة البشر أو** (**أشباح الموتى**) :

يعد هذا النوع من الشياطين من أخطر أنواع الشياطين التي تهدد سكان بلاد الرافدين ، فهي تؤثر بشكل كبير على صحة الإنسان ، وسلوكه وما يتركب عليه كثيرا من اضرار نفسية وجسدية وقد تؤدي في بعض الاحيان الى موته .

ويتطلب هذا الأمر اجراء الطقوس والتعويذات لطرد تلك الارواح الشريرة ويتم ذلك عن طريق العزم للتخلص من الشياطين التي تولد تلك الامراض (٣٧)

وهذا النوع من الشياطين كان بعض الكهنة المتمرسين لهم القدرة في مجابهته وتخليص الشخص المصاب منه عن طريق قراءة الارتسامات على أكباد النذور ، أو تحرك بقع الزيت على الماء ، أو تشكيلات دخان العطور في الهواء ، وكذلك تفسير الأحلام (٣٨) اذ تروي لنا أحد المشاهد الفنية أن هنالك بعض الشعائر التي تستخدم لطرد الشياطين للإفراد المصابين بإمراض من عمل الشياطين اذ تبين تلك المنحوتة ان كاهن يرتدي لباس بهيئة سمكة ، وبجانبه يوجد مذبح يحتوي على مصباح ، وقد وقف أحد الشياطين خلف الكاهن وعند رأس المريض ، وقف كاهن اخر يصد هجمات الشياطين من على المريض ، وفي أسفل المشهد ظهرت جرتان ، وقدح ، وجرة ماء، وأطعمة يبدو أنها القرابين المقدمة الى الشياطين لا قناعها للكف عن ملاحقة المريض ويظهر في المشهد شيطانة تعرف ب(برتو) وقد أمسكت بيدها ثعبان تدلى على صدرها خنزيران يرضعان من ثدييها وقد ثنت ركبتها على ظهر الحصان (٣٩)

يتضح من خلال هذا المشهد الفني أمرين بارزين أولهما : مدى الأدراك والشعور للفرد العراقي القديم تجاه الشياطين ، والمكائد التي تعمل بها فضلا عن كيفية التعامل مع تلك الشياطين ، اما الأمر الأخر ، وهو امكان مقارنة تلك الأعمال الشريرة التي تقوم بها الشياطين لم تزل موجودة في وقتنا الحاضر .

وقد تسيطر تلك الشياطين على ألإفراد الذين يعانون من اضطراب نفسي ، أو مشكلات نفسية فيكون عرضة لمثل تلك الشياطين فضلا عن ذلك فقد يتطلب ألامر الى مراجعة الكهنة أو من يقاوم تلك الشياطين ، كما في النص الأتي :

((ذلك الشخص الذي اقترب من البيت ، وأخافني في منامي ، ومزقني ، وجعلني أرى أحلاما مزعجة ، دعهم يعينوه عند الاله (باين) حارس بوابة العالم السفلي بأمر ننورتا أمير العالم السفلي ، بأمر الاله مردوخ الذي يسكن في ايسكيلا في بابل دع الباب، والمزلاج يعرف باني تحت حماية السيدين)) (٤٠)

وكان الكاهنان المعنيان بتخليص الناس من الشياطين الشريرة أو من العفاريت هما (اشيبو ومشمشو) وقد كانا يقومان بتلاوة التعويذات وإجراء الطقوس المناسبة من اجل تخليص الانسان من تلك الأمراض ، كما في التعويذة الاتية :

((بعد أن صنع انو السماوات، صنعت السماوات والأرض
وعملت الأرض والأنهار ، وعملت الأنهار القنوات ، وعملت
القنوات الطين، وعمل الطين الديدان ، وجاءت الديدان أمام
الاله شمش باكية وذرفت الدموع أمام ايا : ماذا ستعطيني
لغذائي ...؟ (أجاب ايا) : سأعطيك التين الناضج ...(وقالت
الديدان) : ما قيمة التين الناضج لي ؟ دعني أشرب بين
الاسنان واتركني على اللثة حتى امتص دم الانسان واتلف
جوهر اللثة ثبت الوقد (أي الكلاب) وأمسك الجذر لانك
قلت هذا ، ايتها الديدان ، فليضربك الاله ايا بقوة قبضته))(٤١)

أما في بعض الأمور الميسرة كانت الالهة تبعث رسلها لطرد تلك الشياطين مع بعض التعاويذ التي من شأنها طرد الشياطين من الانسان كما في النص الأتي :

((أنا الرسول الذي يسير أمام ايا ومردوخ سيد الترنين الالهي وابن ايا البكر
أنا طارد الشياطين من اريدو الذي ترنيته كاملة الو الشرير لأجل استئصال
بطنك وقلبك وصدرك أنت ساكن في الأماكن الصحراوية عد الى أمكنك الخالية
فالسيد الكبير ايا قد أرسلني الى هنا ، هذه الترنيمة التي وضعت في فمي
محارق العطر السبعة في الطقوس المقدسة بيدي اليمنى أنا أمسك الغراب
طائر الالهة نذير الشؤوم أمسك الخوف ، والهلع بيسراي ضدك ، تدثرت بالمعطف
الأحمر الذي ينشر الهلع أليس جسدي المطهر رداء أحمر رداء يسطع بهيبته في اطار الباب....)) (٤٢)

وهنالك بعض الأساليب العاطفية التي يتبعها الكهنة من أجل الخلاص من تلك الشياطين وقد وصفها (هاي ساكز) في كتابه (عظمة بابل) بالسحر العاطفي ، ويكون مسيطر عليه من قبل الكهنة ولأ يتطلب الامر اشراك الالهة للتخلص من هذه الشياطين كما في النص الأتي :

((قد وضعت لعنة شريرة على هذا الرجل كعفريت الكالو
لقد وقع عليه صمت مردوخ
صمت ضار ، لعنة شريرة ، سحر ، صداع ،
لقد ذهب عنه الهه ،
ووقفت جانبا الهته ترعاه ،
لقد غطاه كالهواء صمت مردوخ)) (٤٣)

وقد تطلب الحاجة في بعض الأحيان الاستعانة بالإلهة بدلا من الكاهن أو الرسول المختص في طرد الشياطين ، ولعل هذا يكون في بعض الحالات التي يعجز

فيها الكاهن من طرد تلك الشياطين من جسم الانسان فيستعين بالإلهة لطرد الشياطين من جسم الانسان ، كما في النص الأتي :

((اذهب ابني مردوخ ،
خذه الى بيت الاغتسال الطاهرة
فك سحره ، فك سحره ،
حتى الشر الفعال في جسمه
سواء أكان لعنة أبيه أو لعنة أمه أو لعنة أخيه الأكبر
أو لعنة قتل رجل لا يعرفه
بسحر الاله ايا
دع اللعنة تتقشر كهذه البصلة
دعها تنفصم كهذه التمرة
دعها تفل ، كهذه الفتيلة)) (٤٤)

ويعد (أوتوكو الشرير) من أكثر الشياطين سرا في العراق القديم اذ كان فتاكا وذ بغض وقوة ، ويصعب على الالهة تخليص الانسان منه ، وتصفه المصادر بأنه يقوم بربط الفم ، ويقيد الذراعان والسيقان حتى يموت الانسان من الجوع والعطش:

((مهما كنت ياشرير ان كنت (الو) الذي يربط الفم ، ويقيد الذرعان ، والسيقان

ان كنت (الو) الذي ليس له فم ان كنت (الو) الشرير ليس له شكل ان كنت الو الشرير الذي لا يرى حتى الشمس ، ان كنت الو الشرير الوهيته تثبتت في الليل يده ملوثتان ، وهو يجهل الفزع ان كنت الو الشرير ستلفي على الرجل وينهض كالحمار ، ان كنت الو الشرير كالوطواط الخارج من الحفرة يطير في الليل

أنا الرسول الذي يسير ،مام ايا ومردوخ سيد الترنين الالهي وابن ايا البكر أنا الرسول ، أنا طارد الشياطين من اريدو الذي ترمينته كاملة ...))(٤٥)

وترد في النصوص المسمارية أسماء الشياطين ، مثل (شيدو الشيطان) الذي كان له رأس أسد ورجلي انسان يضع على رأسه تاجا ، ويطأ برجله اليسرى تمساح ، وهنالك شيطان أخر يعرف ب(وهابو) فله راس اسد وإطراف بشرية ، أما خادم الشر الذي يعرف ب (سوبات دو مال) فكان له رأس وأجنحة مفتوحة ، وأطراف بشرية يطير في جميع الاتجاهات ، فضلا عن الشبح الذي كان له راس ثور وأطراف بشرية ، و(اتوكو) كان له رأس أسد وأطراف تشبه اطراف الطائر (انزو) ، و(شولاك) الذي يشبه الأسد ، و(ماميت) الذي كان له رأس عنزة وأطراف بشرية ، و (نيدو) الذي يعرف انه بواب العالم السفلي الذي كان له رأس أسد وأيدي بشرية وأرجل طائر ، و (توت مال) الذي يلقب ب (كل الشر) وهذا الشيطان له رأسان أحداهما رأس أسد والأخر رأس انسان (٤٦)

الخاتمة :

١- ان الباحث في حضارة بلاد الرافدين يلتمس حقيقتين هما (الخير ، والشر) وهذان الأمران لا يمكن ان يلتقيا في مكان واحد ، لذلك تتضح شخصية الشر ب(الشيطان) الذي يظهر بوجوه كثيرة ومتعددة فتارة يظهر على شكل الالهة شريرة ، وتارة أخرى بدور المعذب في عالم ما بعد الموت وتارة يظهر بمرض فتاك وقاتل وتارة بدور كابوس ... الخ ، المهم أنه مصدر ليس للخير ، و انما للشر ولكن بوجه واحد المتمثل بالشيطان .

٢- وهنالك مسألة تم ملاحظتها تتعلق بالشياطين المنحدرة من أصل سماوي ، وهم الذين اعتبروا آلهة ولدت في السماء إلا أنهم اتسموا (بالطبيعة الشريرة) منذ البداية ان هذه الالهة في أغلب الأحيان هو دور سلبي تجاه السكان ، والدليل على ذلك موقف الاله (انو) الصارم من تلك الالهة وتوجيهه بعض العقوبات لهم نتيجة اعمالهم السيئة .

٣- اذا ما قورن بين الشياطين التي تهاجم الفرد في بلاد الرافدين وتجعله ملازم للمرض والفراش ، وما بين بعض الحالات التي يتعرض لها الانسان في الوقت

الحاضر نلاحظ التشابه الكبير لتلك الحالات لذلك يلتجئ الانسان الى الدين ورجاله للتخلص من شر تلك الأرواح المتمثلة ب(الشياطين) أو (الجن في الوقت الحاضر) .

٤- قد تسيطر تلك الشياطين على الأفراد الذين يعانون من اضطراب نفسي أو مشكلات نفسية فيكون عرضة لمثل تلك الشياطين فضلا عن ذلك فقد يتطلب الأمر الى مراجعة الكهنة أو من يقاوم تلك الشياطين .

٥- هنالك أصناف مختلفة من الشياطين وتكون في حياة الانسان وفي العالم السفلي اذ كشفت الرواية السومرية المعروفة ب(نزول انانا الى العالم السفلي) أن الالهة (أنانا) حين نزلت الى العالم السفلي كانت برفقة أحد الشياطين المعروف ب(كالا وهو صنف صغير من شياطين العالم السفلي)

٦- يتضح للباحث من خلال النصوص المسمارية أن هنالك أشخاصا مختصون لطرد الأرواح الشريرة من جسد الانسان كلا بحسب حالته وفي حالة ، تعذر العلاج فيتم الاستعانة بأحد الاله ويكون في الحالات الصعبة والمستعصية .

Abstract

The hopes of man in the universe is finite make him feel that he is surrounded on all sides by overwhelming force and evil are independent of the will of the people shall be subject everyone to their influence , nor the ability of them to convert its progress or amend its about humans, it has acquired these supernatural powers to humans and influenced it, It became the think everything related to it, has worked hard to learn those forces and then trying to take all his alter this sense of the mysterious idea of clear and specific so that the perception of him how to deal with them in the fields of life and Menahiha all.

Perhaps those evil forces may demons was one of the worst enemies of the old Iraqi man , they greatly affect the health and behavior and the consequent physical and psychological damage has sometimes lead to death.

This requires conducting rituals and incantations to expel those demons and through rituals and determined to get rid of those

demons relying on priests experienced who contributed to the reading (Alaratsamat) on the livers of vows , or move the oil stains on the water, or formations smoke perfume in the air as well as the interpretation of dreams and visions.

Therefore, the researcher found that it is very necessary to shed light on this aspect to examine Marked (devils and their impact in Mesopotamia) The research was divided into three sections and lead by booting Chwaha finale included the most important findings of the researcher. First research titled demons of Afro-cyan , and are regarded as gods because they were born in the sky , according to religious thought in ancient Iraq , and they dispositions nature of evil and aggressive.

The second topic was the West and the demons of the underworld , and they are several types because they have the ability to harm the lives of the dead in the underworld and the rest of the objects.

The third section was devoted to demons who are their qualities as a human being as it is this type of demons of the most dangerous kinds of demons that threaten the inhabitants of Mesopotamia , they greatly affect human health and behavior and the resulting or caused serious damage it from damage, psychological , and physical and may lead sometimes to death , and this requires an rituals and incantations to drive out evil spirits and that is done through the determination to get rid of those demons ... and God bless.

هوامش البحث

(١) سورة البقرة ، اية(١٠٢)

(٢) عامر سليمان ، اللغة الأكدية (البابلية والأشورية) تاريخها وتدوينها وقواعدها ، ط٥ ، (بيروت : الدار العربية للموسوعات ، ٢٠٠٥م) ص٣-٥.

(3) CAD,A.1, p.375.

(4) CAD , B, p.219.

(5) CAD , G, p.18.

(6) CAD , W, p. 339.

(٧) يبدو من خلال الوثائق المسمارية أن سكان بلاد الرافدين قد أدركوا بعض المشاكل الذهنية وتسألوا عنها غير أن كتاباتهم خالية من أي تأمل مصاغ في شكل ذهني والذي يفترض وجود

واقع يتطابق مع مخيلة الفرد العراقي القديم ، لأن الانسان كان ينظر الى الحوادث ويفسرها من حيث كونها حركة ، حول ذلك ينظر :

مهند عاشور شناوة القطبي ، مجمع الالهة في حضارة بلاد الرافدين ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، (بغداد : جامعة بغداد ، ٢٠٠٠م) ص٢٠-١٢

(٨) اله انو : كان الاله انو في تصور العراقيين القدماء هو اله السماء ، وهو أعظم الالهة مرتبة وشأنا في مجمع الالهة ، وكان الاله يرد في اللغة السومرية (AN) بمعنى السماء ، ويرد في اللغة الأكدية (ANU) ويعني السماء ويعد الاله الوحيد الذي يستثنى اسمه من العلامة الدالة على الألوهية التي تكتب عادة قبل أسماء كل الالهة الأخرى ، ينظر :

Graves ,R., Larousse Encyclopedia of Mythology,(London ,1960) p.50.

(٩)Hallo , W.W., the Exaltation of Inanna ,(New Haven ,1968) p. 17.

(١٠)Beatrice Laura.,Symbles prehistoric Mesopotamia,(New York ,1963) p.192.

(١١) لعل بعض الشياطين تكون بهيئة الالهة الشريرة تكون مرسلة من قبل الالهة الرئيسة في بلاد الرافدين مثل (انو) أو (انليل) الى الأرض ، حول ذلك ينظر :

CAD, I, p.196 : b.

(١٢) من أجل استجابة الالهة للاستغاثة والتضرع من شر الشياطين التي كانت تؤذي السكان في العراق القديم كان الفرد العراقي القديم يقوم بالتراتيل ، والتعاويذ الدينية الخاصة خلال تلك الفترة ، ينظر :

CAD , J , p. 155. A.

(١٣) لعل بعض الباحثين يذهب الى أن الشياطين السبعة هي من تختص عن حالات الخسوف التي تقع على القمر مما يترتب على اقامة بعض الطقوس ، والتراتيل الدينية حتى يعود القمر الى سابق عهده ، ينظر :

هاري ساكز ، عظمة بابل ، ترجمة : عامر سليمان ، (الموصل ، ١٩٧٩م) ص٣٣٩

(١٤) كان الاعتقاد لدى سكان بلاد الرافدين أن هذه الشياطين السبعة هي من تقوم بالكوارث الطبيعية لذلك كان لابد من أخذ الحيطة ، والحذر، أثناء حدوث الخسوف، أو حدوث أي من الكوارث الطبيعية ، ينظر :

Beatrice Laura.,Symbles prehistoric Mesopotamia ,p.195.

(١٥) أدد : تميز الاله أدد على كتابات الرقم الطينية التي تصفه بأنه اله الجو الذي يجلب الأمطار والبرق ، والرعد وقد تميز هذا الاله خلال العصر البابلي القديم من خلال المشاهد التي يظهر فيها هذا الاله ، حول ذلك الاله ينظر :

عادل ناجي ، الأختام الأسطوانية ، من كتاب حضارة العراق ، ج٤(بغداد ،١٩٨٥م) ص٢٦١-٢٦١.

(١٦) الاله أيا (انكي) : ظهر اسم هذا الاله في أقدم النصوص المسمارية التي تعود الى الألف الرابع قبل الميلاد واعتبر مقره الأرض الوسطى ، وذلك استنادا الى ما ورد في احدى النصوص المسمارية التي عثر عليها في مدينة أشور بأن الارض تنقسم على ثلاثة أقسام : الأرض العليا التي يسكن عليها البشر ، والأرض الوسطى وهي مقام الاله (انكي)(ايا) ، والأرض السفلى وهي العالم السفلي ، حول ذلك النص ينظر :

Delaport ,L., Mesopotamia Les civilizations Babylonienne et Assyrienne (paris , 1923)pp.190-192

(١٧) وهذا النوع من الشياطين يمكن أن تحارب الانسان وتؤثر على نفسه ، وتدخله في حالات المرض ، ينظر :

Jastrow ., M ., Aspects of Religion Belief and paretic in Babylonia And Assyria (New York,1911) p.312.

(١٨) Jastrow ., M ., Aspects of Religion Belief and pratic in Babylonia and Assyria .p.314.

(١٩) يمكن اعتبار الاله (انو) هو شخصية السماء الطاغية لذا يعد هذا الاله الحاكم الاعلى في مجمع الالهة وهو اول من اعتبر ب (ملك الالهة) وكان يوجه العقاب لمن يشاء من البشر او من الالهة بهيئة شياطين ، ينظر : Jastrow ., M ., Aspects of Religion Belief and pratic in Babylonia and Assyria .p.315.

(٢٠) العالم السفلي : عبارة عن تجويف تحت الأرض يمثل الطبقة الأخيرة يحيط به سبعة أسوار لكل منها باب محكمة يتقدمها نهر يعرف باسم نهر (خبر) أو نهر العالم السفلي ، وهذا النهر لا يسمح المرور عليه الا بعد انجاز الشعائر الجنائزية ، وتقديم القاربين ينظر : نائل حنون ، عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين، (بغداد ،١٩٧٦م) ص٥٣.

(٢١) وهو قصر ملكة العالم السفلي ، وهي ايرشيكيكال ويساعدها في ذلك العالم اله نركال ، حول ذلك ينظر : صموئيل نوح كريمر ، من ألواح سومر ، ترجمة : طه باقر (القاهرة ، ١٩٥٨م) ص ٢٨٤.

(٢٢) ايرشيكيكال : وهي الالهة المختصة عن العالم السفلي اذ تشير الأساطير القديمة الى أنها ترعرت منذ الصغر في هذا العالم ، وأصبحت تعيش حياة ملؤها النحيب والحزن ، والبكاء ، والقساوة ،والندم والخشونة كما انها كانت تفرض الكثير من الأمور على الهة السماء ، ينظر :

(٢٣) نركال : اشتهر هذا الاله في العالم السفلي ، وكاله للحرب ، وقد اشتهر هذا الاله في أختام العصر البابلي القديم اذ ظهر على شكل ادمي يحمل بيده الصولجان المعقوف النهاية ، ينظر : عادل ناجي ، الاختام الاسطوانية ، ص٢٦٠.

(٢٤) لعل الباحث يمكن ملاحظة هذا الأمر من خلال الأسطورة التي تتحدث عن هذه الحادثة ، ينظر :

Delaport ,L., Mesopotamia Les civilizations Babylonians et Assyrians, p195.

(٢٥)Lambert ,W.G., Babylonian Wisdom Literature (Oxford,1960)p.91.

(٢٦) تعد رواية تل العمارنة أو الرواية الأكدية من الروايات التي تحدثت عن العالم السفلي اذ كانت هذه الرواية غير واضحة بسبب الأصابة التي تعرضت اليها أثناء التنقيب والكثير من معلومات هذه الأسطورة غير واضحة ، حول تلك الأسطورة ينظر :

Gurney , O.R., the sultan tepe tablets (paris,1955)p.70.

(٢٧)CAD,H,p.225 : A.

(٢٨) Gurney , O.R., the sultan tepe tablets,p.81

(٢٩) تتناول هذه الأسطورة جانبا هاما من نزول الالهة أنانا الى العالم السفلي ، ومرافقتها لشياطين ذلك العالم ، ويبدو أنها كانت تبحث عن البديل لها في ذلك العالم اذ يتم القبض عليه من قبل الشياطين ، وجعله في ذلك العالم ، ينظر : نائل حنون ، عقائد الحياة والخصب في الحضارة العراقية القديمة ، (عمان : دار الفارس للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢ م) ص١٥٠

(٣٠) أوما : يقع هذا التل على بعد (٩كم) الى الغرب من مدينة الفلوجة على الجهة اليسرى للطريق العام بين بغداد ومحافظة الانبار ، وقد أجريت التنقيبات في هذا الموقع عام ١٩٨٠ بإشراف الدكتور صلاح سلمان رميض ، ينظر : قحطان رشيد صالح ، الكشاف الاثري في العراق ، (بغداد ، ١٩٨٧م) ص١٩١-١٩٢.

(٣١) نائل حنون ، عقائد الحياة والخصب ، ص١٥١.

(٣٢) المصدر أعلاه ، ص١٥٣-١٥٤.

(٣٣) تعبر الالهة (كشتن – انا) وهي أخت الاله دموز، وحاولة مساعدته من ظلم الشياطين المحيطين به ، ينظر نائل حنون عقائد الحياة والخصب ، ص١٥٥.

(٣٤) المصدر أعلاه ، ص ١٥٧-١٥٨.

(٣٥) نرام سين : حكم هذا الملك مدة تقدر ب(٣٧) عاما ، وامتازت مدة حكمه بالقوة والازدهار اذ واجه في السنوات الأولى من حكمه الثورات الداخلية المتمثلة بدويلات المدن السومرية التي كانت تتمرد على السيادة الأكدية ، ينظر : غيث سليم ، اكد واور الثالثة من النشأة حتى السقوط ، (دمشق : دار تموز للطباعة والنشر ، ٢٠١١م) ص٧١-٧٢.

(٣٦) Mackenzie ,D.A., Myth of Babylonia and Assyria ,p.215.

(٣٧) عبد اللطيف البدري ، الطب في العراق القديم ، (بغداد : منشورات المجمع العلمي ، ٢٠٠٠م) ص ٩-١٠.

(٣٩) نائل حنون ، عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين ، ص ٢٠٨.

(٤٠) لعل هذا النص جزء من تعويذة كانت معمولة لدى سكان بلاد الرافدين وهي أطار الحالات النفسية ، ينظر : هاري ساكز ، عظمة بابل ، ص٢٤٠.

(٤١) هاري ساكز ، عظمة بابل ، ص٣٤٣.

(٤٢)Mackenzie ,D.A., Myth of Babylonia and Assyria ,p.246.

(٤٣) هاري ساكز ، عظمة بابل ، ص ٣٤٤.

(٤٤) المصدر أعلاه ، ص ٣٤٤.

(٤٥)Mackenzie ,D.A., Myth of Babylonia and Assyria ,p.247.

(٤٦) Mackenzie ,D.A., Myth of Babylonia and Assyria pp.247- 249